طفولة العراق إلى أين؟

نينوى: كرم حسو

اغلب حضارات العالم اعتمدت على الاعتناء بالطفولة لضمان مستقبلهم وثقافة حضارتهم، وهذا ليس الا دليل على أهمية هذه المرحلة لذلك ابدى الكثير من الباحثين وعلماء النفس والاجتماع اهتمامهم بدراسته، ولا نخفي عليكم أن الطفل ورقة بيضاء تكتب فيه ما تشاء، ومن هذا المنطق عمد الكثير من حاملي الأيدلوجيات الحزبية والقومية... الى تلقين الاطفال معتقداتهم لكي يكون التعليم في الصغر كالنقش على الحجر. وهذه عملية مشروعة ودليل اخر على أهميتها لضمان المستقبل الى حد ما.

وللحديث عن مستقبل المجتمع العراقي وبما ان العراق يمر بمرحلة مخاض وانتقالية مهمة تتحدد من خلالها أهم الأفكار التي سوف تبني النظم الاجتماعية في ضوء مفاهيمها. لذلك سوف نتكلم عن الطفولة في المجتمع العراقي وظاهرة العنف وعسكرة الطفل المتفشية فيه. وفي البداية علينا ان نوضح ان الطفل مقلد بطبيعته أي يعكس صورة مجتمعه الصغير، ولتسليط الضوء اكثر التقينا بعدد من الأكاديميين في علم الاجتماع.

- سألنا الأستاذة "ابتهال جواد" من جامعة الموصل/ كلية الاداب حول التاثير النفسي والاجتماعي للعب الاطفال ذات الطابع العسكري والعنفي؟.

* أجابت: يؤدي اللعب دورا مهما في تحديد طبيعة الكيان النفسي والاجتماعي للطفل، و اللعب تمثل العالم الخاص للطفل الذي سيكتشف من خلاله الأشياء ويحاول فهمها. ويتعامل الطفل مع اللعبة والاندماج في صورتها ودلالاتها فتعكس إنطباعا في ذهنه بأهمية احتواء مفهومها في سلوكه، كما أن اللعب عند الطفل تمثل احدى وسائل التعريف بالدور الاجتماعي للذكور والاناث. ولذا تعتمد الاسرة في عملية التنشئة الاجتماعية على توجيه الطفل الى انواع اللعب الخاصة بالذكور واخرى خاصة بالاناث. زيادة الترويج في الاسواق للعب ذات طابع عنفي. يساعد في تأكيد ميل الأطفال لمثل هذه الألعاب التي يعدها رمزا لنموذجه. وبالرغم من دور اللعب في تنمية المهارات الحركية للطفل وتخلصه من طاقاته الزائدة والتخفيف من توتراته، الا ان الاستغراق في التعامل مع لعب ذات طابع عنفي يعمل على تنمية روح العنف لدى الطفل. ومهما يكن فان مسؤولية توجيه الطفل تقع على عاتق الاسرة حول اسلوب اللعب واختيار الالعاب المناسبة والمفيدة له.

- وفي سياق الحديث عن التاثير السلبي للعب ذات الطابع العنفي على استعدادات الطفل المستقبلية التقينا بالاستاذ "عماد اسماعيل" الاستاذ بعلم الاجرام/ جامعة الموصل ليتحدث لنا عن العنف في التربية والتربية العنيفة وعلاقتهما بالجريمة؟.

* فقال: ينقسم هذا السؤال الى شقين، الاول أي العنف في التربية نقصد به استخدام القسوة والعنف في تنشئة وتربية الاطفال في المؤسسات التربوية

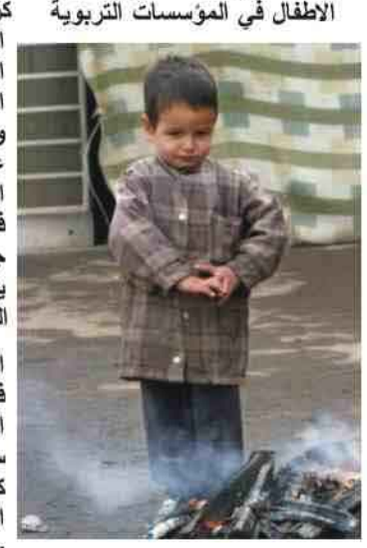

ابتداء من المؤسسة الاولى. الخلية الاولى في المجتمع الا وهي الأسرة وكذلك جماعة اللعب والمؤسسات التربوية الرسمية من دور الحضانة والمدارس والجامعات ووسائل الاعلام... الخ ففي الاسرة التي تعتبر الجماعة الاولى التي يرى الطفل نفسه فيها تقرر الملامح الاولى والاساسية لشخصيته لأنه في هذه المرحلة يكون الطفل كلوحة بيضاء تنقش الاسرة عليها نقوشها وتبقى اثارها الى زمن بعيد من عمره فاذا تلقى في الاسرة تنشئة وتربية قاسية قائمة على التزمت والعنف من احد الوالدين او كلاهما فانها تولد في نفسه شعورا مصحوبا بالميل الى الكذب والحيلة لكي يتخلص من العقاب، وكذلك عند ممارسة العنف في التربية يؤدي به الى كره الوالدين وخاصة الاب وهذا الكره ينصب على كل ما يمثل السلطة من المدرسين في المدرسة والشرطة والقانون والدولة وهذا الكره يقوده الى عدم الخضوع للسلطة وبالتالي الانحراف والقسوة في التربية في الاسرة وبالتالي الوقوع في جماعات منحرفة والكلام نفسه ينطبق على المؤسسات التربوية الاخرى.

اما عن الشق الثاني من السؤال فيتمثل في تربية الطفل على العنف وتاثيرها السلبي على سلوكه مستقبلا، والتربية سواء كانت تقليدا او تدريبا مقصودة او غير مقصودة، فالطفل يعتبر مرآة لما يجري في اسرته فيقلد كل الشخصيات في اسرته وخاصة الوالدين فاذا كان الوالدان قاسيين في تعاملهم مع بعضهم وفي تعاملهم مع الاطفال فان هذه القسوة تنغرس في شخصيتهم في بداية الحياة قد يكون التقليد بريئا في البداية ولكن بعد ذلك وبمرور الزمن تصبح ممارسة القسوة والعنف جزءا من شخصيتهم فيكون عنيفا مع الاخرين. وبعض الاسر ترشد ابناءها وتربيهم دائما على حمل السلاح عند خروجهم من المنزل لدرء المخاطر عن انفسهم او الدفاع عن انفسهم ولكن هذه الوسيلة الدفاعية قد تتحول الى وسيلة هجومية في بعض الاحيان... لانه سوف يعتقد ان العنف هو حل لكل المشاكل في التعامل مع الاخرين.

واضاف الاستاذ "عماد": ان لوسائل الاعلام تاثيرا كبيرا على هذا الجانب لما تعرضه من افلام ومواد وبرامج اعلامية ذات طابع عنفي كما تشارك الاسرة تنشئة وتربية الاطفال داخل المنزل وخاصة المسموعة والمرئية منها. وعلى الاسرة ان تقوم باختيار الافلام والبرامج المفيدة للطفل وتستخدم نظام الاختيار الى عمر معين.

- بعدما استعرضنا لكم آراء بعض الاختصاصين بقي لنا ان نسأل الدكتور "حمدان رمضان محمد" من قسم علم الاجتماع/ جامعة الموصل عن تفسير علم الاجتماع لظاهرة التعامل العنيف مع الاطفال؟.

* فأجابنا: في الحقيقة اثبتت معظم او اغلب الدراسات الاجتماعية والنفسية في العصر الحديث ان العنف عملية غير مجدية في التعامل مع الطفل ولو تعامل الوالدان بقسوة مع الاطفال سوف يؤدي الى اثار اجتماعية سيئة خصوصا عندما تزداد شدة العنف من قبل الوالدين حيث تولد لدى الطفل حالات من العصيان والتمرد والقلق كبيرة مما يسبب له مشاكل اجتماعية خطيرة تؤثر على سلوكيات حياته اليومية.

وهنالك رأي آخر يقول ان التربية تحتاج أحيانا الى بعض جوانب الشدة ولكن هذه الشدة يجب ان لا تزيد عن حدها الاعتيادي بحيث تؤدي على عكس النتائج المرجوة منها أي بمعنى آخر نريد أن تقوم عملية التربية على حالة من التوازن بين اساليب اللطف واللين واحاطة الطفل بكل ما هو جميل وبين اساليب القوة او الشدة او العنف في التعامل، لان الطفل يولد وهو محتاج الى التعامل مع ابناء مجتمعه بمجموعة لمختلف تعاملات يعود عليه بالفائدة والنفع. اذ يهيأ لعملية الانضمام الى جماعة تقبله ويحس بالانتماء اليها. وهذه العملية اساسية في الاستقرار النفسي للافراد كما هي اساسية في بناء الجماعات وتماسكها والان وبعدما عرفنا وتعرفنا على هذه الظاهرة ليس لنا سوى ان نقوم بنظرة شاملة على واقع الطفل العراقي وهو يعيش هذه الاحداث العنيفة اذا كانت من الداخل أي تعامل الوالدين مع الطفل لنجده في حالة مزرية بسبب الوضع الاقتصادي او النفسي او الاجتماعي او السياسي للعائلة، او جهل الوالدين بأبسط أساليب التعامل اللطيفة والصحيحة والسليمة مع الطفل والحدث،

ومن جهة اخرى نرى المجتمع عامة يجهل ابسط مفاهيم او مضامين لائحة حقوق الانسان كما نشاهد يوميا انفجارات تستهدف كل شيء وانتشار المظاهر المسلحة والحياة الصعبة واستغلال بعض الاشخاص للاطفال في كثير من الاعمال اللااخلاقية وتردي الرعاية الاجتماعية وسوء التغذية والتشرد، هذه كلها مشاهد يعيشها اغلب اطفال الشعب العراقي واذا كان السبب الاحتلال او لم يكن فالمشكلة واحدة وقائمة.

وفي ضوء ما استعرضناه من آراء ودراسات الاختصاصيين نجد ان مستقبل العراق يمضي الى المجهول او بالاحرى الى مجتمع اكثر عنفا والبقية تأتي. والسبل الوحيدة لمعالجة هذه الحالات هي اخذ مؤسسات المجتمع المدني دورها وتفعيل دور الرعاية الاجتماعية والصحية والاهتمام بالعلوم الانسانية وتطبيقها الى ارض الواقع وبالتعاليم الدينية البعيدة عن التطرف.

عيد المرأة.. بين فرحة التذكار والمعاناة المستمرة

بهرا: اشواق الشمري

في الأسبوع الأول من شهر اذار تحتفل المرأة في جميع انحاء العالم بعيدها، إذ تشهد كل مدينة في اصقاع الارض المختلفة احتفال كل نساء العالم بهذا العيد الذي يمثل عيدا للأم والزوجة والحبيبة والابنة، اما في بلدنا فإن المرأة العراقية ما تزال بعيدة عن هذه الأعياد الشكلية، حيث تبحث عن الأمان والإستقرار، وبمجرد سؤال أية عراقية عن هذا العيد تفضل عدم التحدث عنه لأن قلبها وعقلها مشبعين بالحزن والالم سواء بسبب فقدان زوج أو ابن أو عزيز، ففاجعتها كبيرة، والحزن هو السمة المميزة لها وقد عانت في العهود السابقة وتعاني في هذه السنوات العجاف "سنوات الارهاب".

لذلك فإن الكثير من نسائنا توشحن بالسواد من قمة رؤوسهن حتى أخمص أقدامهن ، وترك الحزن والالم بصمته على وجوههن. من هنا.. فإن عيدا كهذا لا يتذكرنه حتى ان اغلب النساء عندما يسألون عنه فأنهن يجهلن موعده.

وللوقوف على آراء النسوة اللواتي وافقن على اجراء الحوار كانت احلامهن أن يكون هذا العيد هو عيد للأمان والإستقرار وعيد للخلاص من الارهاب الى غير ذلك من هذه التمنيات التي هي بالتأكيد حق من حقوقهن أن يتمتعن بكل هذه الأشياء.

* كانت الوقفة الاولى مع السيدة سعاد اسماعيل، موظفة.. فقالت: من الجميل ان تحتفل المرأة العراقية بعيدها، لكن وفي ظل الظرف الراهن يكون ذلك صعبا، وأظنه سيحدث بسبب الأحداث الطاغية على الساحة العراقية، ذلك أن توفير الامن والاستقرار والقضاء على الارهاب هو اهم بكثير من الاحتفال بهذه الأعياد، لا سيما ان معاناة المرأة العراقية.. كبيرة، والله يساعدنا على ما تحملنا، فأنا مثلا سافر زوجي الى إحدى دول الجوار لطلب الرزق منذ عامين، وانا اعمل كي نوفر سوية سكنا مستقلا لنا، إذ أسكن حاليا مع أهلي، وحياتي رتابة يومية وكئيبة بسبب البعد بيني وبين زوجي ولكن ماذا أفعل فما باليد حيلة.

* أما السيدة اسراء فاضل، مهندسة معمارية، فكانت اكثر تفاؤلا وقالت: في كل عام يمر فيه عيد المرأة نقوم انا وصديقاتي في العمل بجلب الكيك والحلويات والمشروبات ونحتفل ونقدم الهدايا البسيطة فيما بيننا لأنه تقليد جميل يشعرني بأنني إمرأة، وأجمل شيء هو احساسي بأنوثتي، وحتى في البيت يحمل لي زوجي واولادي الهدايا والعطور لكي يجعلوني أفرح وأنسى احزان بلدي ولو حتى ليوم واحد.

* وتشاطرها الرأي الآنسة نور مهيمن، طالبة جامعية.. فتقول: من الأشياء الجميلة والرومانسية ان تحتفل المرأة بعيدها لأنه سيكون يوما خاصا مليئا بالحنان والحب، فهو خاص بالمرأة.. ولقد قررت ان أحتفل به مع زملائي كما في العام السابق وكما احتفلنا بعيد الحب قبل ايام، فهذه الأعياد تجعل حياتنا تبدو متجددة خاصة وإننا شباب مقبلون على الحياة، ولا داعي للتشاؤم والحزن وانما يمثل هذا العيد دعوة للتفاؤل بالحياة وان شاء الله يعود الامن والاستقرار لبلدنا الحبيب، فعراقنا عزيز علينا وغال على كل العراقيين وسيعود كما كان سابقا.. عراق الخيرات عراق الحضارات.

* السيدة سارة عزيز أبدت رأيها بالموضوع قائلة: بالطبع ان عيد المرأة هو من الايام الجميلة التي تمر على المرأة، لكنني اقول "بأي حال عدت يا عيد"، وأنا لا اعتقد ان هذا العيد يستطيع ان يمسح الجراحات والآلام التي تعرضت لها المرأة العراقية طوال عقود من السنين، وبالنسبة لي فقدت في البداية ابي واثنين من اخوتي في العهد السابق وبعد ذلك وفي ظل الارهاب فقدت زوجي الحبيب، فهل بقي لي شيء يستطيع أن يدخل البهجة أو الفرح والسرور الى قلبي، بالطبع لا، أنا أرتدي السواد منذ عشرين عاما، وأصبح اللون الاسود رفيقي و كل شيء في هذه الدنيا لا يفرحني ابدا.

* واخيراً كانت وقفتي مع عدد من الرجال الذين قاموا بتقديم التهاني والامنيات الجميلة للمرأة العراقية في عيدها وخصوصاً السيد فلاح مهدي "ابو سراج" والذي قال: اقدم تهنئة خاصة الى كل امرأة عراقية شجاعة وبطلة تحدت الزمن الصعب، ووقفت الى جانب زوجها واخيها ووالدها وفي كل الظروف التي مرت على بلدنا الجريح وكانت خيرعون لنا، أخص بالتهنئة زوجتي الغالية التي ساندتني كثيرا ووقفت الى جانبي وتحملتني وربت اولادي التربية الصحيحة وجعلتهم رجالا يخدمون وطنهم الحبيب العراق وهنا أتمثل بقول الشاعر

الأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

فتحية الى كل امرأة ساهمت وما تزال في بناء العراق الجديد والقضاء على الارهاب.

المسبحة.. خصوصية شعبية توارثتها الأجيال

تحقيق: كاظم حسين الشجيري

المسبحة.. فتحنا أعيننا على الدنيا فوجدناها في متناول يدي آبائنا واجدادنا يتسلون بها وكأنهم صغار حصلوا على دمية يقضون بها فترات فراغهم. و"السبحة" كما تسمى بالعامية التي إعتاد قسم كبير من العراقيين خصوصا كبار السن على تداولها بين أيديهم ليمتعوا بها إناملهم وآذانهم حين تصدر طقطقات جميلة.. وقد تنوعت بمرور الزمن حتى صارت أنواعا مختلفة، فمنها "اليسر والكهرب والسندلوس والفيروز والعقيق" وأنواع متعددة أخرى. لكنها تبقى بمدلولاتها المعنوية لدى عامة الناس اداة للتبرك وذكر الله.

الشيخ ناصر العلوان أول المتحدثين يقول: لا أستطيع الجلوس والنقاش مالم تكن بيدي، فهي تشغلني عند أوقات الفراغ، أتسلى بها أثناء النقاش والحوار.. وأكاد لا أسير في الشارع أو أحضر مأتما أو فرحا إلا و"السبحة" في يدي فهي بقدر بساطتها وسهولة صناعتها إلا أنها تدل عند الكثير من الناس على مكانة حاملها المرموقة فترى أغلب الأشخاص في الآونة الأخيرة يحملونها بل ويتباهون بأنواعها الجميلة والفاخرة التي وصل سعر بعضها الى أرقام خيالية.

* لكن السيد "طعمة أبو ماجد" ينظر اليها من زاوية يختصر فيها الجمال بالفن والشعر فيقول:

إنها ترمز الى الوجاهة أحيانا، والى الاستمتاع وانصراف الخيال، والى الاستغراق في فكرة معينة.. إلا أنها في كل الأحوال أصبحت لدى بعض الناس جزء من قيافة الرجل بيد إنها تدل لدى البعض على التقوى والتراتيل الدينية والابتهالات، فهي جزء من تسابيح الإنسان وانصرافه لله.

وفي المجتمع العراقي أصبح "للمسبحة" رواج كبير وواسع وانتشرت لتكون مادة تجارية أيضا، إذ أصبح لها باعة.. وأسواق.. وكثرت أنواعها ومدلولاتها وزبائنها.. وراح بعضهم يحفظ عشرات الأسماء منها مثل "اليسر والسندلوس والكهرب" وغيرها.

وفي أحد أهم الأسواق في بغداد وهو سوق تراثي يشتهر ببيع السبح على نطاق واسع وهو سوق "الاستربادي" في الكاظمية كانت لنا جولة مع عدد من الباعة من ذوي الاختصاص في بيع السبح حيث فوجئنا بالعديد من النادر والثمين منها، حيث أن هناك أنواعا تصل أسعارها الى أكثر من خمسة ملايين دينار.. وأخرى ليست للبيع فهي للعرض فقط لندرتها حيث تعد تحفا نادرة.

* يقول السيد "أحمد رعد" صاحب محل لبيع السبح:

توجد هناك العشرات من الأنواع المختلفة للمسابح يطول شرحها ووصفها ويوجد أيضا العشرات بل المئات من الزبائن الذين يرتادون هذه المحال وغالبيتهم من العراقيين لكن يأتي لنا من حين لآخر عدد من الأجانب الذين يحبون اقتناء هذه المسابح ومعظمهم من الإيرانيين والأفغان الذين يأتون لزيارة العتبات المقدسة وبعضهم لديه خبرة كبيرة تفوق أحيانا خبرتنا. وعن أسعارها وأنواعها يقول السيد "رعد"، يوجد كما ذكرت العديد من المسبحات لكن أكثرها رغبة وأغلاها سعرا هي "الكهرب والسندلوس والعقيق" وتلك التي تصنع من الأحجار الكريمة مثل "الياقوت والمرجان" حيث يصل أسعار البعض منها الى خمسة ملايين دينار أو أكثر من ذلك وفي الآونة الأخيرة ظهرت أنواع جديدة ومتنوعة حيث تميز صانعوها بابتكارات تمثلت بخيوطها الجميلة الممزوجة بماء الذهب، و"كراكيشها" المصنوعة من الذهب الخالص كذلك "الشاهول" أو عنق المسبحة الذي يصنع من الذهب أيضا المرصع بأرقى أنواع الأحجار الكريمة الذي يضيف ميزة خالصة لها ويميزها عن باقي الصناعات التي تنفرد بها دول الخليج العربي أيضا وهناك أنواع أخرى متعددة ورخيصة الثمن التي تصنع في العادة من البلاستك الاعتيادي أو الخزف الذي يتم فخره.

* أما السيد "أبو طارق الموسوي" فيقول:

تعد المسبحة بمثابة القلم لدى الصحفي فلا استغناء عنها ويضيف أيضا، أحتفظ منذ الصغر بمسبحة أهداني اياها أبي رحمه الله وهي نادرة وثمينة ويصل سعرها الى المليون دينار حيث أن "خرزها" أو شذراتها من العقيق الأصلي والنادر.. وتعد بمثابة كنز كبير لي وللعائلة، ليس لأن سعرها مرتفع بل لأنها نادرة وجميلة الشكل والأهم إنها هدية.

ويضيف قائلا.. كذلك أحتفظ بمجموعة أخرى لا بأس بها اقتنيتها بمرور الزمن واحدة تلو الأخرى من خلال باعة صرت زبونا دائما لهم لكثرة ترددي المستمر عليهم وصاروا يحتفظون لي بأنواع جديدة من المسابح ذات الأسعار المناسبة.. وتشكل المسبحة لي أداة تسلية ولا أستطيع الاستغناء عنها مطلقا خاصة عند تجمع الأهل أو في المناسبات كذلك عند الصلاة والعبادة.. وإذا صادف ونسيتها فتلك مشكلة.. ليس لضرورتها أو أهميتها بل لتعودي عليها، لذا أقوم بتلافي الموقف من خلال استعارة واحدة أخرى من الجالسين أو من الذين يكونون برفقتي.

* السيد "نعمة الجابري" أحد هواة اقتناء وبيع المسابح حدثنا عن بعض المميزات التي تشتهر بها فيقول:

إن خواص المسبحات متعددة لكن أهمها تلك التي توجد في سبح الكهرب، فحين نقوم بدعك خرزها مع بعض براحة اليد تنبثق منها رائحة عطرة زكية تميزها عن بقية المسبحات وصارت لها شعبية أكثر.. وهناك أنواع أخرى عندما نقوم بالعملية نفسها تخرج منها ومضات خفية.. وتلك الخواص جعلت من هذه المسبحات نوادر ثمينة عند الناس.

رغم أن المسبحة في العراق تعتبر من خصوصيات المجتمع واهتماماته الخاصة ورغم أنها أصبحت تدل على الفخر ومظهرا من مظاهر شخصية الفرد إلا أن التحولات الاجتماعية واهتمامات قطاعات الشباب بفن الألكترونيات والموبايل والإنترنت وسبل الحياة العصرية قد تلغي بدورها هذه الظاهرة الاجتماعية التي لازمت مجتمعنا طيلة القرون الماضية.